



وافق مجلس الأمن الدولي بالإجماع على إيفاد المراقبين الأمميين إلى سوريا للاطلاع الميداني على مجريات الأحداث والذين سيصلون بعدهم الثلاثاء تباعاً خلال الأيام القليلة، كما وصل قبل أشهر نظارتهم المراقبون العرب..

وقد حالفهم الفشل الذريع لأن خطة إرسالهم كانت مسيسة بامتياز، ولأن بعضهم قد مارس كل الأعمال التي لا تمت إلى الأخلاق بصلة والتي تساوي بين الضحية والجلاد، ولم يأسف كل حر على إخفاق هذه المبادرة التي لم تقدر من البداية أن طرف الحكومة الطاغية المستبدة الديكتاتورية لن يتعامل معها بوفاء رغم الوعود والبرق الخلب، فماذا عسى لمبادرة كوفي أنان أن تتحقق من بنودها الستة التي سيعمل المراقبون على متابعتها، وخصوصاً نقطة الوقف الفوري لإطلاق النار الهش أصلاً، ومع أن الذي يبدو للعالم أجمع أن نظام الممانعة الأسد ي ضد الشعب لم يلتزم، ونجزم أنه لن يتزم بهذا فإن الجيش الحر ومن يؤيده قد كان منهم وما يزال كل التزام، وهذه هي أخلاق الأحرار برغم الظلم والقهر والفواجع الهائلة، وعلى كل إباء بالذى فيه ينضج، والطبع يغلب التطبع كما يقولون، وفي قناعتنا أن هذه الآلة التي تمثل بحضور المراقبين ومتابعتهم ورؤيتهم وسماعهم من السلطة من جهة ومن الثوار من جهة أخرى ستكون جزءاً من العلاج المرحلي للمأساة السورية إن استجيب للقائمين بها، لاسيما أنهم غير عسكريين ولكنهم سيتحققون ميدانياً بأنفسهم وسيكتشفون طغيان هذا النظام الفاسد لا قوته كما يدعى هو وحلفاؤه، كما سيقفون على القوة الحقيقة للشعب السوري التأثير المصابر والمصمم على خوض غمار الصراع في الحلبة حتى النصر -بإذن الله- وهزيمة الأسد كما أعلن الثوار في جمعتهم الماضية..

و هنا نود أن نفند ادعاء النظام وكل من يسبح بحمده أنه قوي ومتماضك، وأن المناوئين له هم الضعاف وما هذا الشعب إلا عصابات مسلحة تقوم بمؤامرة خارجية عليه مما مله الجميع ومجوه، ولا بأس أن نذكر أن ثمة فرقاً كبيراً بين الطغيان وبين القوة، فالنظام السوري في حقبة الحكم الأسدية ما كان ولم يكن قوياً بل طاغياً جباراً مغتصباً إرادته هي القانون والدستور، ولا يعرف المحاسبة والمساءلة ويقترب فيه الطاغية الحاكم من التأليه، أما سمعتم به لا إله إلا بشار الأسد، ورأيتم السجود على صورة الأسد، وليس لله إجبار للمخالفين، أما عرفتم قصة الشاب الذي أجبر على السجود لصورته فمزقها وقال: ربى الله، كيف فجروا يده وهو الذي شكا معاناته بعزمته لسانه وكم وكم في السجن فعلوا ذلك مع الشباب الطاهر وقد قتل بعضهم لرفضهم، وأخذ البعض الآخر بالرخصة وفي هذا فيلم موثق بالصوت والصور. **وهكذا فإننا نفهم أن الطاغية إنما ينتمي إلى عائلة الطغيان، وأننا عندما نذكر فرعون فإنما يذكر الطغيان معه**، لأنه تجاوز للحد وتماد في الباطل غروراً

واستكباراً وانخداعاً بالملك والسلطة والمال من كل طاغية يرى أنه يستغنى عن الأشياء ويحقد على غيره ويحسده ومع غياب الوعي عن الجماهير وغفلتهم يزداد طغياناً لأنه لا أحد ينهاه عن هذا المنكر ويحلف متابع طغيانه ويقطع عنه روافده أو حتى يقوم بواجب النصح والموعظة الحسنة، وقد يتخلل الكثيرون بأنه يخنهم ويكتب تطلعاتهم، وهذا ما يفسر لجوء البعض إلى النكتة السياسية تنفيساً عما في صدورهم؛ ولذا فقد نبه القرآن الكريم في آياته إلى خطورة الطغيان، مبيناً على سبيل المثال أن فرعون لم يكن قوياً بل كان طاغية، وهذا كما في قوله تعالى: {اذهب إلى فرعون إنه طغى}، ولكن عندما قص علينا قصة موسى بين أنه هو القوي وإن كان في الظاهر ضعيفاً أمام فرعون هو وأصحابه، وهكذا كل طاغية يقول العلماء لا يمكن أن تسميه قوياً بل طاغية بطاشاً وماه إلى الهاك كفرعون، وكل فرعون في كل عصر ومصر وفي قوله تعالى: {وَفَرَعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ \* الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَادِ \* فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادِ \* فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رِبُّكَ سُوتَ عَذَابَ \* إِنْ رَبَّكَ لِبِالْمَرْصَادِ} [الفجر: 9-14]. إذ ليس وراء الطغيان إلا الفساد والطاغية أسير هواه لا يفه إلى ميزان ثابت يجعل الجماهير أرقاء أذلاء ويحطم القيم والتصورات المستقيمة أو يزييفها على مزاجه ويفبرك الأحداث ويقلب الحق باطلأ، ويكثر الفساد، فيكون العلاج من الله وجنوده هو تطهير الأرض من فساده، فيرصد الله عمله ويسجله إن ربكم لِبِالْمَرْصَادِ.

وهذه هي سنة الله في الأشرار مهما ادعوا الإصلاح؛ {إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ}، [يونس: 81]، واقرأ إن شئت عن هذا: في ظلال القرآن [6 سورة البروج]، ولما أراد الفيلسوف أرسطو أن يتحدث عن مفهوم الاستبداد قابله مع مصطلح الطغيان وقال: إنهم وسيلتان لحكم الرعاعيَا كالعبد واغتصاب السلطة، ولكن الذين يحكمون اليوم في سوريا لم يجعلوا لهم مثلاً إلا (مونتسكيو) الذي يعتبر سكان الشرق عبيداً بالسلبية ويجب أن يعاملوا كالحيوانات، وقد رد عليه كثير من المفكرين وال فلاسفة، ثم انتقل معنا إلى عائلة الديكتاتورية المصطلح الروماني الذي يستفيد بموجبه الطغاة بعضهم من بعض، ولقد كانت في زمانهم لا تتجاوز السنة أشهر فقارنها ملياً عندنا الأسد إلى الأبد، الأسد أو لا أحد، الأسد أو نحرق البلد، ثم انتقل إلى عائلة الشمولية التي تستفتى على زعيم واحد ليخرج من قبته أربناً اسمه الديمقراطية على قطيع لا حيلة لهم وهذه قريبة من عائلة السلطة المطلقة.

وهكذا يكون الطاغية الذي يقتل شعبه صباح مساء، بل حتى لم يجد هذا الشعب المسكين وقتاً لدفن شهدائه لتواصل النيران، ولذا فقد ذهبت القوانين اليونانية منذ القدم إلى منح جائزة أولمبية لمن يقتل الطاغية، فقتله قد كان واجباً عندهم في حين يرى البعض وجوب نبذه لأن الطغيان مسألة يستنكر حسمها بالسيف..

إن نظام الأسد الأب والابن لم يكن قوياً وإن يكن ولكنه دام هذه العقود الأربع بالطغيان والبطش والفاشستية والسجن والتعذيب والاختطاف والتشريد والاعتداء على الشيوخ والأطفال والنساء وهدم وحرق الممتلكات والشجر والحجر حتى الدواب، فأرهاب الناس وهذا ضعف لا قوة، وقد بين رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن الشديد لا يكون بالصرعة، وإنما الذي يملك نفسه عند الغضب، وأن هذا النظام إنما يقوم على قانون القوة التي هي بمعنى الطغيان هنا لا على قوة القانون، ونحن نقول له ما قاله بدر الدين الحامد:

إذا كنت يا هذا قوياً فلا تكن \*\*\* غريراً فكم خيل بفرسانها تكتو

ونقول له: لا قوة إلا قوة الضمير كما قال ارسكين وكما قال غاندي، ليست القوة هي الحق وإنما الحق هو القوة، ولذا فإنه نظام ضعيف وغير متماسك إلا بما ذكرت، وبحبل من الناس كإيران وروسيا وحزب الله وعراقي المالكي ومن أشباههم. ولأنه يظن أن الشعب ضعيف ومعارضيه ليسوا بشيء؛ فإننا نقول له: إن الذي صبر عاماً وشهرين أمام كل هذا القمع وبصدر عار وتحمل نزف الدم والقتل والجرح والسجن والتهجير القسري، ورأى قصف المساجد بل والكنائس مثل كنيسة السريان الكاثوليك في حي الحميدية بحمص مؤخراً؛ سوف يستمر في ثورته ومعنوياته في الريح بل تسابقها وهو يقول لكل ظالم

وطاغية:

لا تحقر كيد الضعيف فربما \*\*\* تموت الأفاعي من سموم العقارب

كما قال عمارة اليمني أو كما قال جورج يومبيدو: آفة القوة استضعفاف **الخصم**. وهكذا فالشعب السوري بجميع أطيافه الدينية والسياسية هو القوي حقيقة لا شكلاً، وكما يقول ناصر الإسلام والعربية مصطفى صادق الرافعي: "الحق أقوى من القوة أي الطغيان، والشعب أقوى من الحكومة، وإن النصر لمن يتحمل الضربات لا من يضربها".

المصدر: رابطة العلماء السوريين

المصادر: